الرد على أبرز المخالفات العقدية

في كتاب

أرض جديدة -كيف تكتشف مغزى حياتك

للملحد الروحاني الباطني: إيكهارت تول..

ترجمة

سامر أبو هواش.

طبعة: هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث (كلمة).

الطبعة الأولى: ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.

إعداد

د. أيمن بن سعود العنقري

الأستاذ المساعد بقسم العقيدة والمذاهب المعاصرة بكلية أصول الدين

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - الرياض

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

☜ **أولاً**: الإنكار الصريح لوجود الله المباين للمخلوقات، إضافةً إلى أنَّ الموجود الله عنده غير قابل للوصف والشكل سمَّاه: "**الوعي**" بمنزلة الإله، وأنَّ الوعي هو الإنسان نفسه؛ لأنه ينسى طبيعته الجوهرية، وهذا تصريح بوحدة الوجود.

في [ص: ١٥-١٦] قال: "كوكب الأرض، قبل ١١٤مليون سنة، ذات صبيحة بعيد شروق الشمس: أول زهرة تظهر على الكوكب تفتح بتلاتها لكي تستقبل شعاع الشمس. قبل هذا الحدث المهم الذي آذن بتحوّل ثوري في الحياة النباتية، كان الكوكب مغطى بالنباتات منذ ملايين السنين. وعلى الأرجح ألا تكون الزهرة الأولى قد عاشت طويلاً، ولا بدَّ من أنَّ الزهور بقيت ظاهرة نادرة ومعزولة، بما أنَّ الظروف لم تكن مؤاتية لعملية إزهار على نحوٍ واسع على الأرجح. بيد أنه ذات يوم، كانت البداية المهمة، حيث حدث انفجار من اللون والضوء عمَّ أرجاء الكوكب – لو كان هنالك وعي قادر على الإدراك لكي يشهد على تلك اللحظة. بعد ذلك بوقتٍ طويل، ستلعب تلك الكائنات الرقيقة الفواحة، التي نسميها الزهور، دوراً جوهريًّا في تطور وعي نوعٍ آخر من المخلوقات. فسيزداد البشر باضطرادٍ افتتاناً بها".

وفي [ص: ١٩٣] قال: "إن الربّ، هو وعي لا شكل له، وهو جوهر ماهيتك. كلُّ شيءٍ آخر هو شكل".

ويقول في [ص: ٢٥٠]: "الوعي لم يزل واعياً، إنه الأبدي غير المتجلّي، إنه اللا ظاهر، والأبدي لكن الكون لا يتحول واعياً إلا بالتدريج. أما الوعي نفسه فلا زمني وبالتالي لا يتطور، بينما العالم يتدرّج في الوعي. الوعي نفسه لا يقيّده الزمان، ولذلك هو لا يخضع للتطور. لم يولد ولا يموت".

وفي [ص: ٢٣٥] يصرِّح بأنَّ الإنسان نفسه هو "الوعي" فيقول: "إنّ جوهر ماهيتك هو الوعي. حين يصبح الوعي (**أنت**) في تماهٍ كلّي مع التفكير وبالتالي ينسى طبيعته الجوهرية، فإنه يفقد نفسه في الفكر".

أقول: تضمّن كلام هذا الملحد الرُّوحاني ما يلي:

☚ أولاً: الإلحاد الصريح عبر إقراره بفرضية الانفجار العظيم في الإلحاد المادي، وأنَّ أصل الخلق كان كُريّةً بسيطةً ذات خلية واحدة، وهي لا ترىٰ، كانت تسبح في اللازمان واللامكان، ثمّ انفجرت فجأةً قبل ١٥مليار سنة فنتج عن هذا الانفجار وجود هذا الكون بالتدريج.

أقول: لاشكَّ في بداهة العقول أنَّ هذا من المستحيل، بل هو خرافة ووهم لا حقيقة له؛ لأننا نقول لهؤلاء الملاحدة الماديين: من أين جاءت هذه الكُريّه ذات الخلية الواحدة؟

وثانياً: لماذا كانت هذه الكُريّه ساكنةً ثمّ أرادت الانفجار فجأةً دون أيّ مقدمات أن تنفجر؟!

وثالثاً: كيف حصل هذا الاجتماع للخلايا، وكيف وُجدت الحياة من الجماد؟!!

فسيقول هؤلاء الملاحدة: حدث هذا عن طريق الصدفة، فكلُّ الموجودات تُعلّق عندهم بالصدفة. إنكار صريح أن يكون ربُّ العالمين هو الخالق الموجد للكون.

٢- أنَّ الوعي لدىٰ إكهارت تول هو بمنزلة الإله، وهو الإنسان نفسه، فالوعي ليس مبايناً للمخلوقات بل هو نفسها؛ لذا قال: "إنَّ جوهر ماهيتك هو الوعي. حين يصبح الوعي (**أنت**) في تماهٍ كُلّيٍ مع التفكير وبالتالي ينسىٰ طبيعته الجوهرية..".

وهذا تصريح بوحدة الوجود، أنَّ الوعي هو أنت أيُّها الإنسان.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في [بغية المرتاد (ص: ٤١٠)]: "وكلامهم -يعني أهل وحدة الوجود- كلُّه يدور علىٰ هذين القطبين:

- إمَّا أن يجعلوا الحق لا وجود له، ولا حقيقة له في الخارج أصلاً وإنَّما هو أمر مطلق في الأذهان.
- وَإمَّا أن يجعلوه عين وجود المخلوقات، فلا يكون للمخلوقات خالق غيرها أصلاً".

ثانياً: وهذا صريح قول هذا الملحد الرُّوحاني حين ذكر أنّ الوعي لا شكل له، وأنه اللاّظاهر، غير المتجلّي، فمعناه: أنَّ وجوده ذهني فقط؛ لأنّ هذه معانٍ مطلقة لا وجود لها حقيقي في الخارج.

ثانياً: صرّح هذا الملحد الرُّوحاني بأنَّ الوعي هو الذي تولَّد منه كلّ شيءٍ **(بمثابة الخالق للكون)** فقال في [ص: ٢٥٠]: "والوعي هو الذكاء، المبدأ الناظم وراء ولادة الشكل. وقد كان يعدّ الأشكال طوال ملايين السنين بحيث يُعبّر عن نفسه من خلالها".

وهذا من الشرك في الربوبية.

ثالثاً: كتاب [أرض جديدة] طافح بتقرير عقيدة وحدة الوجود، فمن أقواله في ذلك:

[ص: ٢١]: "وربما كانت بعض التعاليم الواقعة في صميم الهندوسية هي الأقرب إلى رؤية هذا الخلل كشكلٍ من الاعتلال الذهني الجماعي. وهذه التعاليم تسمّي

ذلك المايا، أي "**حجاب الوهم**". ويعلن رامانا ماهاريشي، أحد أعظم حكماء الهند بوضوحٍ شديد: "**العقل هو مايا**".

أقول: مراده: أنّ الظواهر التي نشاهدها من الموجودات وهم لا حقيقة لها، وإنما الوجود واحد فقط.

وقال في [ص: ١٧-١٨]: "ما أن يصبح هناك قدر معيّن من "**الحضور**" من الاهتمام الساكن واليقظ في مفاهيم البشر، حتى يمكنهم الإحساس بجوهر الحياة السامية، ذلك الوعي أو الروح الكامن في داخل كلٍّ من الكائنات، كلُّ شكلٍ من أشكال الحياة، وأن يدركوا توحدها مع جوهرهم الخاص وبالتالي أن يحبوها كما يحبوا أنفسهم".

وفي [ص: ٢٣٧]: "أنّ تكون واحداً مع الآن لا يعني ألا تحرّك التغيير أو أن تُصبح عاجزاً عن التحرّك. لكنّ الدافع للحركة يأتي من مستوىً أعمق، لا من التطلّب الأنوي أو الخوف. فالانسجام الداخلي مع اللحظة الراهنة يفتح وعيك ويجعلها منسجمة مع الكلّ..." إلى أن قال [ص: ٢٣٨]: "يتكون الكلّ من الوجود والكينونة، من الظاهر وغير الظاهر، من العالم والرب. فحين تصير متناغماً مع الكلّ، تُصبح جزءًا واعيًا من تداخل الكلّ ومن هدف هذا التداخل: ظهور الوعي في هذا العالم".

وفي [ص: ٢٦٣]: قال: "ما الذي قاله السيد المسيح لتلاميذه "إنّ السماء هنا بينكم". في موعظته على الجبل يتنبأ السيد المسيح نبوءة قلّةٍ من البشر فهموا مغزاها حتى يومنا هذا.

يقول "مباركون هم الحليمين لأنهم سيرثون الأرض". في النسخ المعاصرة من الإنجيل تُترجم كلمة حليم إلى متواضع. فمن هو المتواضع أو الحليم الذي سيرث الأرض؟

إنهم المتحررون من **"الأنا"**. أولئك الذين استيقظوا على طبيعتهم الحقيقية الجوهرية كأشخاص واعين ورأوا هذا الجوهر في جميع **"الآخرين"**، وفي كافة أشكال الحياة. إنهم يعيشون في الحالة المستسلمة وهكذا يشعرون بوحدانيتهم مع الكلّ ومع "المصدر".

أقول: يعني بقوله التحرّر من **(الأنا)** وهو ما يسمى باللغة الإنجليزية (Ego) الأنا الزائفة: وهي التوهّم والشعور بالانفصال عن الموجودات؛ لأنه يرى أنّ الوجود واحد لا ثنائية فيه.

(**توضيح مهم جدًّا: تكثر في كتب الملاحدة الرُّوحانيين؛ كأوشو وواين داير، وإكهارت تول، وديباك تشوبرا وغيرهم: فلسفة (الأنا)** يعبرون بها عن عقيدة وحدة الوجود، فيرون أنّ ذاتك التي تمثّل جسدك ومعتقداتك، هي أنا زائفة، مغايرة لـ

(**الإله**) أو (**الأنا العليا**) أو (**المصدر الكلّي**) وأنها منفصلة عنه، فيرونها حجاب عن الحقيقة وهي: الاندماج والاتحاد مع هذا المصدر الكلّي الذي يسمونه تارةً: (**الوعي، التاو، النية الخارجية، المصدر، الطاقة، العقل الباطن، اللاواعي...**).

☜ **رابعاً**: الرُّوحانية لا علاقة لها بالدين، بل يرى الملاحدة الرُّوحانيين التمرد على الأديان، وأنّ الرُّوحانية لاعلاقة لها بما تعتقده، بل بحالة وعيك الداخلي.

يقول إكهارت تول في [ص: ٢٨-٢٩]: "يعي العديد من الناس الآن الفرق بين الرُّوحانية والدين. يعون أنَّ حُصولك على منظومةٍ إيمانية -مجموعةٍ من الأفكار التي تعتبرها حقيقتك المطلقة- لا يجعل منك شخصاً رُّوحانياً بصرف النظر عن طبيعة تلك المعتقدات. في حقيقة الأمر، كلَّما قمتَ أكثر بدمج أفكارك (**معتقداتك**) في هويتك، بتَّ أكثرَ انفصالاً عن البُعد الرُّوحاني في داخل ذاتك".

وأكّد هذا بقوله: "في الوقت نفسه الذي يسبرون فيه أعماق ذواتهم. يدركون أنّه كيف تكون "**رُّوحانيًّا**" لا علاقة لها بما تعتقده بل بحالة وعيك الداخلي".

☜ **خامساً**: القول بنسبية الحقيقة: تحت عنوان: الحقيقة: نسبية أم مطلقة؟

قال إكهارت تول [ص: ٧١]: "أبعد من عالم الحقائق البسيطة والتي يمكن التثبت منها، فإنَّ يقين "**أنا مصيب وأنت مخطئ**" هو شيء خطير في العلاقات الشخصية كما في العلاقات بين الأمم والقبائل والأديان، وما شابه.

✍ **أقول:** يرىٰ ليس هناك حقيقة ثابتة مطلقة، فالباطل يكون صواباً عندهم ولو كان إلحاداً.

☜ **سادساً**: ولهذا من أصول ومبادئ الرُّوحانيين: القول بوحدة الأديان" وأنّ جميع هذه الأديان حق وتُوصل للحقيقة.

قال في [ص: ٢٦-٢٧]: "الأديان أصبحت إلىٰ حدٍّ بعيد قُوىٰ مسببةٍ للشقاق بدلاً من الوحدة..

تسبّبت بمزيدٍ من العنف والكراهية، وبمزيدٍ من الانقسامات بين الناس كما بين مختلف الأديان، بل وحتىٰ داخل كلّ واحدٍ من هذه الأديان. تحولت هذه الأديان إلىٰ أيديولوجيات، إلىٰ أنظمةٍ من المعتقدات التي يتماثل معها الناس، وبالتالي يستعملونها لتعزيز إحساسهم الخاطئ بأنفسهم. من خلال هذه الأيديولوجيات صار في وسعهم أن يعتبروا أنفسهم "المصيبين" وأن يعتبروا غيرهم المخطئين..، أولئك الآخرون، الكفرة، أو أصحاب العقائد الخاطئة...، ولكن.. ولكن رغم كل الأفعال المجنونة التي ارتكبت باسم الدين، فإنّ الحقيقة التي تشير إليها مازالت تشعّ في صلبها. ما زال تتشعّ. وإن خافتة..".

✍ **أقول:** دين الإسلام هو الحق الذي أمرنا الله باتباعه ... ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللهِ الْإِسْلَامُ﴾ [آل عمران: ١٩].

والنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ يَهُودِيٌّ، وَلَا نَصْرَانِيٌّ، ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ، إِلَّا كَانَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ» رواه مسلم.

☜ **سابعاً**: مفهوم الصمت والسكون:

تعني عند إيكهارت تول: سماع صوت نداء الإله بداخلك؛ لأنَّ الألوهية كامنة في ذاتك، ويسمى الصوت الداخلي للوعي.

قال في [ص: ٢٢٢]: "يقال: إنَّ السكون هو لغة الربّ، وكلُّ شيءٍ آخر ترجمةٍ سيئة.

* أن نعي السكون كلّما التقيناه في حياتنا سيصلنا بما لا شكل له ولا زمن له ضمن ذواتنا، أي ما هو فوق الفكر و"الأنا"... لا شكل للسكون..، الوعي بالسكون يعني أن تكون ساكناً.

* أن تكون ساكناً يعني أن تكون واعياً بغير فكر. وعندئذٍ لا تكون أكثر جوهريةً ولا عمقاً.

* ففي السكون تكون على حقيقتك قبل أن تتخذ هذا الشكل الفيزيائي المؤقت المسمّى شخصاً. وكذلك عندما يتلاشى الشكل. حين تكون ساكناً، تكون على حقيقتك".

✍ **أقول**: دائماً يكرّر الرُّوحانيون: أنّ الإله تجربة؛ لأنهم يرون أنّ الإنسان يعيشها، فهو معنىً يدركه عبر التجربة.

وأكّد إكهارت تول هذا المعنىٰ في كتابه [حديث السكون (ص: ١٦)] قائلاً:

"**السكون هو طبيعتك الجوهرية. ما هو السكون؟ إنَّه الوعي**".

فالإنسان وإن كان في ظاهره بشراً فهو في حقيقته "**إله**".

وقد ذكر الملحد الرُّوحاني أوشو في كتابه [تأملات قبل النوم (ص: ١١٤-١١٥)] ذلك بقوله: "فقط ضمن داخل وجودك الخاص ستكتشف أنّ الله يناديك، ولن تسمع صوت الله، إلاّ إذا غرقتَ بالصمت، ومتىٰ سمعتَ صوته، تُدرك معنىٰ ما تقرأ في الكتب السماوية.

في حقيقتك الداخلية الفعلية: "**أنت إله**".

✍ **أقول:** ما ذكره هؤلاء الملاحدة الرُّوحانيين هو بعينه ما عليه غلاة الصوفية من حضور الإله وتجلّيه في ذوات المخلوقات. **(عقيدة الحلول)**.

ذكر الكاشاني في كتابه [اصطلاحات الصوفية (ص: ١٧٧)] أنّ: "الخلوة: محادثة السرّ مع الحق" يعني: "**الله**" حيث لا ملك ولا أحد".

۞ والخلوة والصمت متقاربان في المعنىٰ.

✍ **أقول:** وهذا المعنىٰ الذي ذكره الرُّوحانيون شبيه بأحد مصادر التلقي لدىٰ الصوفية وهو "الذوق".

فقد نقلت د. سعاد الحكيم في المعجم الصوفي الذي خصصته لمصطلحات ابن عربي في التصوف [ص: ٤٩٣] عن ابن عربي أنّه عرّف الذوق بأنه: "أول مبادئ التجلّي، وهو حال يفجأ العبد في قلبه". ويعني: تجلّي الله في العبد عن طريق الصمت والخلوة.

☜ **ثامناً**: مفهوم الحضور لدى الرُّوحانيين، ومنهم إكهارت تول:

قطع التفكير وإخماد العقل والوعي للحظة الداخلية، والغياب عن الجسد – الذي يعبرون عنه كما أسلفنا بالأنا المزيفة– بقطع الإحساس بالمشاهد المحسوس؛ لأجل الاتحاد بالمطلق أو بالمصدر الكلّي الذي يسمونه بـ "الإله".

قال إكهارت في [أرض جديدة]: "عبر لا مقاومة الشكل فإنَّ ما في داخلك والذي يتجاوز الشكل يظهر كحضور غامرٍ كقوةٍ صامتةٍ أعظم بكثيرٍ من هويتك قصيرة الأجل القائمة على الشكل، وهذا يشكل من أنت بعمقٍ".

☜ **تاسعاً**: ذكر إكهارت تول بعض مصادر الرُّوحانية الحديثة:

قال في [ص: ٢٧-٢٨]: "نشأت "مدارس" أو"تيارات" داخل كلّ الأديان الكبرى، وقد مثّلت هذه التيارات في بعض الحالات تكثيفاً لنور التعاليم الأصلية.

هكذا نشأ مذهبا "الغنوسطية" أو (**الأدرية**) والصوفية في مطالع العصور الوسطى للمسيحية، وكذلك الصوفية في الإسلام، والحسيدية، والكابالا في الديانة اليهودية، والـ"أدافيتافيدانتا" في الهندوسية، والزن والـ"دزوجشن" في البوذية ...

ركّزت تعاليم هؤلاء على الإدراك وعلى التحول الداخلي. وعبر هذه المدارس أو الحركات الباطنية استعادت الأديان الكبرى قوتها التحويلية للتعاليم الأصلية".

أقول: يضاف لبعض مصادر الرُّوحانية الحديثة: الحكمة الهندية القديمة، الإلهام، الكشف، الهواتف، الحدس، التيارات الباطنية الغنوصية في الفلسفة اليونانية، بعض الديانات الوثنية المصرية؛ كالهرمسية، الأوبانيشاد (**وهو خلاصة المحتوى الفلسفي في الهندوسية**) ...

هذه بعض المصادر المعتمدة لدى هذا التيار الرُّوحاني الباطني.

وَبَعْدُ: **فهذا ردٌّ مختصر على أبرز المخالفات العقدية والانحرافات الكفرية في كتاب** [أرض جديد] **للملحد الرُّوحاني: إكهارت تول".**

وَبِاللهِ التَّوْفِيْقُ ...

كتبه/

د. أيمن بن سعود العنقري.

الأستاذ المساعد بقسم العقيدة والمذاهب المعاصرة

بجامعة الإمام.